مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصلية علمية محكمة، العدد الـ٤٠، خريف ١٣٩٥ هـ. ش/ ٢٠١٦ م؛ صص ٣٨-٢٣

تداعيات إثبات الذات، والنّرجسيّة في شخصيّة أبي فراس الحمدانيّ، و روملياته (في ضوء نظرية "كوهت" النفسيّة)

محمدحسن أمرابى[1]*، جهانگير أميري[2]

١. طالب الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة رازي

٢. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة رازي

تاريخ استلام البحث: ٩٤/٠٣/٢٧ تاريخ قبول البحث: ٩٤/١٠/٠٢

الملخّص

النرجسيّة عنوان أطلقه علماء النفس المعاصرون على حالة نفسيّة خاصّة لدى المصابين بها، وقد عرّفها المحلّل النفسي الشهير "هاينز كوهت"، الذي أجرى دراسات عديدة حول هذه الظاهرة، بأنّها «عبارة عن الاهتمام الزائد والتركيز المفرط لإثبات الذات مصحوباً بالزهو والخيلاء». تتميّز الشخصية النرجسيّة في منظور كوهت بميزتين رئيسيتين: ١- الإعجاب والاعتداد بالذات واستعراض القوّة، ٢- رغبة ملحة في البحث عن المثاليّة لدى الذات والآباء والاعتزاز بأمجاد الماضين. يرى كوهت أنّ العوامل الوراثية والبيئية والنفسيّة هي من أبرز أسباب نشوء النرجسيّة في النفس.

وفي السياق ذاته يرمي هذا المقال إلى دراسة سيكولوجيّة لإثبات الذات في شخصيّة الشاعر العباسي الذائع الصيت أبي فراس الحمداني في ضوء آراء "كوهت" اعتماداً على المنهج الوصفي – التحليلي. لقد تبيّن من خلال هذه الدراسة أنّ الشاعر كان مصاباً بحالة من النرجسيّة التي دفعته إلى الاهتمام البالغ بذاته استجابةً لرغباته في استعراض القوّة، حيث تباهى كثيراً بانتصاراته الرائعة وتراث الحمدانيين المجيد. وفيما يتعلّق بعوامل تكوّن هذه الظاهرة النفسيّة لدى أبي فراس، بناءً على ما استوحيناه من نظريات "كوهت"، أنّ نرجسيّته ناجمة عن انتمائه إلى أسرة ملكيّة مرموقة ذات سمعة طيبة، وترعرعه في بيئة أرستقراطية من جهة، وردّة فعله حيال الوقوع في أسر الرّومان من جهة أخرى.

الكلمات الرئيسة: النرجسيّة؛ كوهت؛ أبوفراس الحمداني؛ إثبات الذات؛ البحث عن المثالية؛ الفخر؛ الرّوميات.

* **الكاتب المسؤول** amrayy77@yahoo.com

المقدمة

الاتجاه النفسي في النقد الذي شاع شيوعاً واسعاً في أواسط القرن الماضي فتح نافذة جديدة أمام الناقدين (خياط، ١٩٩١م، ٢١٧)، يطلّون من خلالها على خبايا شخصية الشاعر، ودوافعها التي تكمن وراء أفكاره وأشعاره؛ ومن أبرز معطيات هذا الاتجاه هو الكشف عن ظاهرة النرجسيّة لدى عدد من الشعراء العرب القدامى والجُدُد.

اختلفت قواميس اللغة، والمعاجم في الكشف عن أصل مفردة النرجسيّة؛ حيث ذهب بعض اللغويين، والباحثين إلى أنّ أصلها كلمة فارسيّة هي «نرجس»، وهو النّرجس من الرّياحين تشّبه به العيون. فقد أورد معجم المصطلحات العلميّة، والفنيّة حول هذه الكلمة ما يلي: «النّرجس من الفارسية، زهر من فصيلة النّرجسية» (المصدر نفسه، ١٩٩١م:٣٧٥).

وقد ورد في لسان العرب عن مفهوم «نرجس» لغوياً أنّ: «النرجس» نبت من فصيلة النرّجسيّات التي تزرع لجمال زهره، وطيب رائحته، وزهرته تشبّه بها الأعين» (ابن منظور، ١٤٢٦:٩١٢).

وأمّا النرجسية في وجهة نظر العلماء السيكولوجيين عبارة عن «الإعجاب المفرط بالذات؛ بحيث لا يطيق الإنسان النرجسيّ في حياته مَن يُماثله ويضاهيه» (البحيري، ١٩٨٧م: ٣و٤).

لقد عثرنا أثناء دراستنا في شعر أبي فراس وخاصّة روميّاته على لقطات شعرية تعكس مظاهر النرجسيّة وأصداءها بشكل يتناغم مع الدراسات الحديثة لعلم النفس وعلى وجه الخصوص آراء «كوهت»، وهذا الكشف حثّنا على دراسة أعمق، وأشمل لأشعاره. بناءً على ما حصلنا عليه عبر تتبّعنا في الدراسات النفسيّة المتعلّقة بالنرجسيّة أنّه يمكننا القول بأنّ أبا فراس كان يعيش حالة من نرجسيّة باتت حصيلة مروره بظروف قاسية رهيبة عاشها في غياهب سجون الرّوم؛ حيث أثارت هذه التجربة المروّعة الشعور بالتّيه والاستعلاء كردّة فعل نفسيّة لما انتابه من مشاعر الحقارة والمهانة بناءً على ما يراه "كوهت" من تأثير الأوضاع السيئة على ظهور لون من النرجسيّة لدى الشخصيات التي تملك الأرضية الخصبة للإصابة به. مهما يكن من أمر فإنّ هذا البحث محاولة متواضعة لتفسير، وتبيين ظاهرة النرجسيّة لدى أبي فراس بالاعتماد على النظريات التي اقترحها المنظّر النفسي "كوهت" علماً بأنّه قطع أشواطاً بعيدة في هذا المجال، وله شأنه، ومكانته في البحوث، والدراسات الحديثة في علم النفس.

نطمح عبر هذا المقال إلى البحث عن الإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما هي أهمّ الأسباب، والعوامل الباعثة على الشعور بالنرجسيّة لدى أبي فراس الحمداني في ضوء آراء كوهت السيكولوجيّة؟

٢. ما هي أصداء، وتداعيات النرجسيّة في روميات أبي فراس الحمداني بالاعتماد على معطيات العالم النفسي كوهت؟

٣. ما هي العوامل المؤثرة التي فجّرت مشاعر النرجسيّة لدى أبي فراس؟

الدراسات السابقة

لقد أشار بعض النقاد، والباحثين من العرب والفرس إلى ومضات من حياة أبي فراس وأدبه. فيما يلي نشير إلى بعض الكتب والمقالات المختلفة التي أنجزت حول هذا الشاعر العباسي الشهير، وظاهرة النّرجسيّة:

□ «أبوفراس الحمداني، الرّجل والشّاعر» لفؤاد أفرام البستاني (١٩٢٨م).

□ «الاتّجاه الوجداني في روميّات أبي فراس الحمداني» للباحث إلهام عبدالعزيز الغنام (لاتأ).

□ «أبوفراس الحمداني، شاعر بني حمدان» لأحمد بدوي (١٩٢٥م).

□ « النرجسيّة: دراسة نفسيّة» لبيلا غرانبرغر (٢٠٠٠م).

□ «الشخصيّة النرجسيّة، دراسة في ضوء التحليل النفسيّ» للدكتور عبدالرقيب أحمد البحيري (١٩٨٧م).

وغيرها من الدراسات المتناثرة في ثنايا الكتب، والمجلات، والمواقع الإلكترونيّة. في الحقيقة أنّنا لم نستطع العثور على البحوث التي ركّزت على نرجسية أبي فراس الحمداني اللهمّ إلّا ما كتبته الباحثة "نوال براك الثمالي" في رسالتها: «الذات والآخر في روميات أبي فراس الحمداني»، وقد اعتمدت في دراستها على جانبي النظري والتطبيقي. تناولت في الجانب النظري، حياة أبي فراس من خلال رومياته بما يخدم موضوع الدراسة، ثمّ تطرّقت الباحثة إلى الحوافز التي جعلت أبافراس يفتخر بذاته من خلال الأمجاد والمآثر التي سُجِّلت في تراث الحمدانيين. ثمّ تناولت فيما يتعلّق بـ"الآخر" المؤثرات العامة التي شحنت كيانه بمشاعر أليمة وأحاسيس موجعة من السجون الروميّة والسلوك المشين للرومان وعدم اعتناء سيف الدولة به كما انعكس في رومياته. أما في الجانب التطبيقي، تطرقت الباحثة إلى الخصائص الدلالية التي شكلت قصائد الروميات وتحدثت عن براعة الشاعر في اختيار الألفاظ، وتوظيفها في خدمة النصّ الشعري، وأخيراً قامت بدراسة موسيقّية

للروميات. لذلک ثمّة فارق كبير وبون شاسع بين بحثنا هذا والذي كتبته الباحثة "نوال"؛ إذ نحن حاولنا تفسير وتطبيق ظاهرة النرجسيّة لدى أبي فراس بالاستناد إلى وجهات النظر التي أبداها المحلّل النفسي الشهير كوهت، بينما تدخل دراسات النوال في نطاق المطالعات النقديّة، والثقافيّة، واللغويّة، والأدبيّة، والأسلوبيّة لأشعار أبي فراس.

ودرس أيضاً فؤاد أفرام البستاني فى مقاله: «أبوفراس الحمداني، الرّجل والشّاعر» مشيراً إلى أبي فراس، ونرجسيّته إشارة سريعة عابرة خالية من أيّ تحليل، وتنقيب، وبمعزل عن شواهد شعرية.

بما أنّ هذا المقال يستهدف دراسة النرجسيّة، ودوافعها، ونقدها في شعر أبي فراس الحمدانيّ، فالدراسة تقتضي التّعريف بالشاعر، والبحث عن الآفاق من حياته الأدبيّة الّتي تساهم في إزالة القشور عن الملامح الخاصّة بنرجسيّة الشاعر.

وقفة مع آراء كوهت في مجال ظاهرة النرجسيّة

شهدت السنوات الأخيرة اهتماماً متزايداً فيما يتعلق بالنرجسية كظاهرة مثيرة للجدل على مستويات النظرية (البحيري، ١٩٨٧م: ٣٧). نقدّم في هذه الدراسة النظرية نبذة مختصرة عن النظريات التحليلية التي تفسّر ظاهرة النرجسية، وبواعثها وفقاً لرؤية "هاينز كوهت" كأبرز العلماء في علم النفس الحديث.

لقد وضع "كوهت" أساساً لتشخيص الشخصية النرجسيّة، حيث قدّم تعريفا واضحاً لها؛ حيث قال: النرجسيّة هي الاهتمام الزائد، والتركيز المفرط على الذات (البحيري، ١٩٨٧م: ١٥٦). ثمّ حدّد معالم الشخصية النرجسيّة قائلاً: «النرجسي يصبو إلى إعطاء قيمة عالية لأفعاله والبحث عن المثالية لذاته وآبائه» (المصدر نفسه:١٦١). ويقول حول حاجة النرجسيين إلى البحث عن المثالية: «أفراد هذه المجموعة دائمو البحث عن الآباء المثاليين الكرماء وفي حال عدم وجود الآباء المتميّزين يشعرون بالانهيار والإحباط إذ إنّهم يفتقدون حينئذٍ الركيزة التي يعوّلون عليها لإثبات الذات وحفظ السلوک المتوازن والاتزان الروحي في الحياة» (فينخل، ٢٠٠٦: ١٩٤). وعند ذكره للميزات التي يتميّز بها الإنسان النرجسي قال كوهت: «النزوع إلى المبالغة في مدح الذات بصفات العظمة وتضخيم المشاكل يعدّ من أبرز السمات لدى النرجسيّة» (المصدر نفسه: ٢٠٧). كما نستخلص من آرائه بشأن السلوک الذي يظهره النرجسيّون في حياتهم أنّهم يرسمون لأنفسهم

طموحاً عالياً وأهدافاً نبيلةً؛ بحيث لا يتحمّلون مواقف الفشل ولا يعترفون بعيوبهم ولديهم رغبات استعلائية لا تشبع. وفيما يتعلق بالشخصيات المستعدة للإصابة بالنرجسيّة أفاد كوهت بأنّ «امتلاء النفس بمشاعر التفخيم والاستعلاء يعتبر لديّ الأرض الخصبة لنموّ البذور النرجسيّة فيها» (البحيري، ١٩٨٧م: ٢٥٠). لقد بيّن هذا العالم النفسي أيضاً البواعث النفسية التي تحرك النرجسيّة داخل النفس وتؤجّج لهيبها قائلاً: «النفسيّة التي تتوفر فيها شروط الابتلاء بالنرجسية تفتقر إلى أسباب، وحوافز توقظ، وتثير تداعيات المرض فيها. وقد تظلّ المشاعر النرجسيّة راكدةً وخامدةً في غياب الأسباب التي تفضي إلى بروزها في الواجهة» (خياط، ١٩٩١: ١/ ٣٠٥). يبدو من كلمات كوهت أنّ العوامل المؤثرة على النرجسيّة متنوعة لا يمكن تصنيفها ضمن عوامل محدّدة.

وصف كوهت الشعور النرجسي بأنّه شعور انفعالي تبديها الشخصية النرجسية عند تأثرها بالعوامل التي سمّاها بالعوامل الوراثية، والنفسيّة، والبيئيّة فقال بهذا الصدد: «النرجسيّة تكاد تكون تعويضاً مَرَضياً عن حالة شعورية عصيبة يمرّ بها الإنسان في طفولته أو في مرحلة من مراحل حياته كردّة فعل نفسيّة» (فينخل، ٢٠٠٦: ٢١٧). ففي ضوء ما ذهب إليه كوهت يمكن تعريف النرجسيّة بأنّها حالة من الشعور المفرط بالزهو والخيلاء والميل الزائد نحو إثبات الذات، تساور كلّ شخصية لديها المقومات الأساسية للإصابة بهذا المرض النفسي إثر مرورها بالظروف الصعبة. وفيما يلي نقوم بجولة أدبية في مجاني أشعار أبي فراس الحمداني لعلّنا نرصد فيها أبرز ملامح النرجسيّة في ظلّ الآراء النفسية التي استقيناها من العالم النفسي المعاصر هابينز كوهت. ونعرض قبل ذلك محطات من حياة الشاعر ممّا يساعدنا على معرفة الأسباب الرئيسية التي أسفرت عن ظهور حالة النرجسيّة لديه.

أبوفراس الحمداني ونبذة عن حياته وأدبه

هو «الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني ولد في الموصل سنة (٩٣٢م –٣٢٠هـ) من أب عربيّ وأم روميّة (ابن تغري، لاتا: ٢٦/٤). انحدر من أسرة أميريّة كانت في أوج العزّ والمجد. قتل أبوه وهو طفل بعد (الثعالبي، ١٩٨٣م: ١٥).

كان سيف الدّولة يقدر شاعرية أبي فراس وفروسيّته حقّ قدرها ويجلّه لكرم أخلاقه وشجاعته، حيث أعطاه ضيعة بأعمال منبج. قد أسره الروم مرتّين (الزركلي، ١٩٨٦، ج٧: ١٥٥)؛ في المرّة الأولى أُسر في «مغازة الكحل» سنة ٩٥٩. ولم يمكث الأمير الأسير طويلاً في هذا الأسر إذ

أسرع سيف الدّولة إلى تحريره. وفي المرّة الثانية أسر في يد الرّوم سنة ٩٥٩ وحملوه إلى القسطنطينيّة؛ حيث أقام فيها أربع سنوات وكان سيف الدّولة متردّداً في تحريره فطال به الأسر، فلم يزل يذكّر سيف الدّولة بمكاسبه الرائعة وانتصاراته الباهرة لآل حمدان لعلّه يسرع إلى تخليصه من السجن. إلى أنّ تحقّقت أحلامه سنة ٩٦٥ (ابن خلكان، ١٩٧٨م: ١/١٥٨)، وفي تلك الفترة أرسل أبو فراس بعض أشعاره المسمّى بالرّوميات أو الأسريّات الّتي نظمها في أسره ببلاد الروم إلى ابن عمّه سيف الدولة أو إلى والدته الكئيبة أو إلى أصدقائه ممّا حقّق له شهرة واسعةً في الآفاق (الثعالبي، ١٩٨٣م: ١/٨٥). توفّى سيف الدّولة سنة ٩٦٧ بعد خلاص ابن عمّه من سجون الروم بسنة واحدة. كان أبوفراس يرى من حقّه أن يستولي على مملكة ابن عمّه فدخل حمص وأقام فيها. فاتّصل خبره بأبي المعالي الذي كان ابن أخته. فجهّز لخاله جيشاً عظيماً ضيّق عليه الخناق، حتّى قتل أبوفراس أخيراً في قرية تعرف بِـ«صدد» واختلف في طريقة قتله وتاريخه (ابن عديم، ١٣٧٠ق: ١/١٢٥).

أسباب النّرجسيّة في أشعار أبي فراس الحمدانيّ

كان أبوفراس ذا نفس طموحة أبيّة توّاقة إلى الجاه والمنصب. انتماؤ الشعر إلى بيت جمع أطراف الفخر كلّه ملأ كيانه ليشعر بالقوّة والعظمة. لقد ورث شاعرنا السيادة والعلم والأدب والفروسيّة من بيت عريق وهو بيت الحمدانيين المشهور بالثقافة والفروسيّة. كان أبوفراس يرى نفسه تمثالاً لأمجاد الآباء وتراث الحمدانيين وعنواناً لفضائلهم خاصّة وأنّه كان يجمع بين الشعر والسياسة والشجاعة، فإنّه فضلاً عن كونه شاعراً مُجيداً كان قائداً عظيماً وفارس الحلبة أذاق الروم هزيمة نكراء مراراً وتكراراً. زد على ذلك؛ إنّه كان موضع احترام وتجلّة من قبل ابن عمه سيف الدولة وحاشيته من الوجوه والأمراء، كما كان على رأس كتيبة عظيمة حقّقت انتصارات رائعة وإنجازات باهرة، ولذلك كان أبوفراس بمثابة أسوة حسنة حذا حذوه كلّ من يتطلع إلى الرئاسة والعظمة. الأسرة الجليلة التي أنجبت أبافراس والبيئة الأميريّة التي نشأ وترعرع الشاعر في أحضانها أورثته نفسيّة تربّت وتعودت على العزّ والكرامة. ونعيد إلى الأذهان ما أفاده كوهت في هذا المجال، حيث قال: «امتلاء النفس بمشاعر التفخيم والاستعلاء يُعدُّ الأرض الخصبة التي تنشأ فيها الميول النفسيّة إلى إثبات الذات» (kuhut.h: 1971, 66). ولا يفوتنا أن نقول إنّه ليس كلّ من يمتلك الاحساس بالاستيلاء والخيلاء يصاب في نهاية المطاف بالنرجسية إذ لو كان الأمر كذلك فكان من الواجب

إدراج المزيد من الشعراء ضمن لائحة النرجسيّة؛ لأنّه قلّما يوجد شاعر يخلو من نزعة استعلائيّة أو رغبة في الفخر والاعتداد بالذات والآباء، بل اعتماداً على ما قاله كوهت أنّه لابدّ لنشوء النرجسيّة وظهورها في كينونة الشاعر من وجود عوامل ثلاثة هي: الوراثة، والبيئة، والنفس التي تفجّر الطاقات الكامنة وتخرجها من خبايا النفس إلى واجهة الحياة (غرانبرغر، بيلا، ٢٠٠٠م: ٤٨). والسؤال الذي يطرح هنا نفسه هو أنّه ما هو العامل الأساسيّ الذي أثار روح النرجسيّة لدى شاعرنا أبي فراس وهزّ أوتار شخصيته الأرستقراطيّة؟ والجواب أنّه لما أسر على أيدي الروم و أُقتيد إلى غياهب السجون زعزع هذا الحادث كيانه ومشاعره ممّا أفضى إلى حدوث حالة من الفراغ والإحباط لديه. كان لاستبطاء سيف الدولة في تخليص الشاعر دورٌ في إشعال فتيل النرجسيّة في شاعرنا، فكانت نرجسيته محاولة جادّة أو ردّة فعل حاسمة منه للتعويض عن الشعور بالضياع والاندثار الناجم عن وقوعه في الأسر. ولا ننسى أنّ شاعرنا نشأ وترعرع في أسرة محاطة بالجلالة والسؤدد، وورث الحمدانيين طيب سمعتهم وعلوّ جاههم. نعيد إلى الأذهان أنّه كان في وقوع أبي فراس في سجون الروم إساءة إلى مجده التليد وعزته القعساء ممّا أحدث في نفسه فراغاً عاطفياً هائلاً. وما أسلفناه سابقاً من نظريات كوهت في هذا الشأن يؤيد رأينا، حيث قال: «إنّها (النرجسيّة) تعويض مَرَضي عن علاقة فاشلة مع الأبوين في مرحلة الطفولة أو حادث رهيب أثناء الحياة» (جودة، ٢٠١٢: ٥٣).

ملامح النرجسيّة في أشعار أبي فراس الحمداني

لقد ذكرنا فيما مضى العوامل الوراثية والنفسيّة والبيئية التي غرست بذور النرجسية في نفس أبي فراس وفيما يلي نستعرض أبرز ملامح نرجسيّة الشاعر بالاعتماد على أشعاره بادئين بـ:

١. إثبات الذات وتفضيل النّفس

يرى "**هاينز كوهت**" أنّ النزوع إلى التضخيم والمبالغة في مدح الذات بصفات العظمة والكبرياء هو من أهمّ الملامح التي توصف بها الشخصيّة النرجسيّة (البحيري، ١٩٨٧م: ٤٣). وقد وصف كوهت الأفراد ذوي الشخصيّة النرجسيّة بأنّهم يظهرون طموحاً عالياً وأهدافاً نبيلة ولا يتحمّلون مواقف الفشل ولا يعترفون بعيوبهم ولديهم رغبات جامحة لا تشبع لأن يكونوا موضعاً للإعجاب (المصدر نفسه: ٣٤).

الحاجة إلى تعظيم النفس تكون بمثابة الفلك الذي تدور حوله الشخصية النرجسية كما عرّف كوهت النرجسيّة بأنّها عبارة عن: «إثبات الذات واستعراض القوة» (جودة، ٢٠١٢م: ٥٥٥). تبلورت هذه الصفات النفسيّة في عدد هائل من قصائد أبي فراس الحمداني، حيث يفخّم نفسه باستخدامه ضمير المتكلّم في كثير من أبياته فنراه دائماً يقول: «وأنا الّذي..» أو «إنّي....» وما شابه ذلک. كما نرى في قوله:

وَأَنَــا الّــذِي فَضَــلَ الْأَنَــامَ فَأَصْــبَحُوْا طَوْعــاً لَــهُ، قَسْــراً بِسِــتِّ فَضَــائِلِ

بِصَــــــوَاهِلٍ وَعَوَامِــــــلٍ وَقَبَائِــــــلٍ وَمَكَــــــارِمٍ وَذَوَابِــــــلٍ وَمَنَاصِــــــلِ

(الديوان، ١٩٩٤م: ٢٧٩)

إنّ الشاعر احترم نفسه حيث نراه يفضّله على سائر الأنام، معتبراً إيّاهم منقادين له ورهن إشارته؛ لأنّه هو الذي يمتلک الخيول، والجيوش، والرّماح، والقبائل، والسيّوف الصارمة،كأنّه يريد بذلک الفخر ببأسه وفروسيّته. ولا يخفى على القارئ المتتبع جنوح الشاعر إلى الشعور بالعظمة والتعالي على الآخرين، ممّا يعدّ من وجهة نظر العلم النفسيّ التحليليّ من «معطيات الشخصيّة المصابة بالنرجسيّة» (جودة، ٢٠١٢م: ٥٥٦).

وفي قصيدة أخرى يخاطب النّاس سائلاً إيّاهم سؤالاً إنكارياً على سبيل التأكيد، على أنّه هو الوحيد الذي لا مثيلَ له في الشّجاعة، والبأس، إلى حدٍّ يعبّر عن نفسه بأنّه أفضل فتىً يعيش في الزنزانة وخلف القضبان:

مَتَــى تُخلِــفُ الأَيَّــامُ مِثْلِــي لَكُــمْ فَتــىً طَوِيْــلَ نِجَــادِ السَّــيفِ رَحْــبَ المَقَلَّــدِ؟

مَتَــى تَلِــدُ الأَيَّــامُ مِثْلِــي لَكُــمْ فَتــىً شَــدِيْداً عَلَــى الْبَأسَــاءِ غَيْــرَ مُلَهَّــدِ

وَإِنْ تَفْتَــــدُونِي تَفْتَــــدُوا لِعُلَاكُــــمْ فَتــىً غَيْــرَ مَــرْدُودِ الْلِّسَــانِ أو الْيَــدِ

يُطَــاعِنُ عَــنْ أَعْراضِــكُمْ بِلِسَــانِهِ وَيَضْــرِبُ عَــنْكُمْ بِالْحُسَــامِ المهَنَّــدِ

(المصدر نفسه: ٩٨)

كرّر الشاعر هذا المضمون نفسه في اللقطة الماضية فيفتخر بأنّه شاعر متفرّد، منقطع النّظير ثمّ يصف نفسه بالبسالة، والفروسيّة، والصمود أمام المصائب والشّدائد. ثمّ يطلب سيف الدّولة أن يبادر إلى تحريره لكي يدافع عن عرضه ومملكته بأشعاره وسيفه الماضي.

يعتقد كوهت أنّه يمكن التّعرف على النرجسيين عندما يتكلمون عن أنفسهم، وأفكارهم، وقيمهم؛ حيث إنّهم يتحدّثون بنبرةٍ صارخة بالأنانية وحبّ النفس (البحيري، ١٩٨٧م: ١٥). حدا حبّ الذات بشاعرنا إلى أن يسعى جاهداً وراء إثبات الذات قولاً وفعلاً. ومن أبرز المجالات الّتي جعلها عرضة ومجالاً لحبّ الاستعراض هو مجال الشّعر فإنه فضلاً عمّا قاله في تعظيم نفسه واعتلاء شأنه بذل ما في وسعه لاحتقار الأعداء والحسّاد بمختلف الآليات الفنية، والأساليب البيانيّة كالاستفهام، والمغالاة، والتأكيد، وما شابه ذلک ممّا يخدم أهدافه. وربّما يبرّر ذلک ما قاله «كوهت» ببساطة شديدة، حيث عرّف النرجسيّة بأنّها: «الاهتمام أو التركيز على الذات» (*المصدر نفسه*: ١٥).

٢. تفضيل الآباء والأسرة

الاعتداد بالآباء ميزة اعتبرها "كوهت" من ميزات الشخصيّة المصابة بالنّرجسيّة، لقد أشرنا سابقاً إلى الميزتين اللتين تتميّز بهما الشخصيات النرجسيّة من منظور كوهت ألا وهما: تفضيل النفس على الآخرين والبحث عن الآباء المثاليين. حيث قال: «إنّ أفراد هذه المجموعة دائموا البحث عن الآباء المثاليين الكرماء وعند عدم وجود هؤلاء الآباء الذين يسندون إليهم فإنهم ينهارون ويتحطمون؛ ويفقدون حالة الاتزان والاستقرار في السلوك والشخصية في حالة عدم الشعور بالانتماء إلى أسرة مثالية» (bursten, Ben, 1978: 52 – 51). وللشاعر أسرة عريقة تسمو مكانتها حتّى تعانق النجوم الزاهية، وتلامس الآفاق السامية يحرسها الفرسان، وتخدمها الخادمات. مجّد الشاعر قومه بالنبل، وكرم المحتد، وعراقة المنبت في البيتين التاليين:

لَنَا بَيْتٌ عَلَى عُنُقِ الثُّرَيَّا بَعِيدُ مَنَاهِبِ الْأَطْنَابِ، سَامِ
تُظَلِّلُهُ الْفَوَارِسُ بِالْعَوَالِي وَتَفْرِشُهُ الْوَلَائِدُ بِالطَّعَامِ[1]

(المصدر نفسه: ٣٢١)

أصبح إكبار الآباء وإجلال القوم نغمة مريحة يعزفها أبوفراس بقيثارة شعره مراراً وتكراراً، إذ أنّ النّرجسي حسبما يرى كوهت «يميل نحو إعطاء قيمة عالية لأفعاله وآثاره والبحث عن المثالية في آبائه» (البحيري، ١٩٨٧م: ٨). يمكن القول إنّ الشّاعر كلّما يُشيد بأصله ونسبه يمدح في الحقيقة

[1]. الولائد مفردها الوليدة: الجارية الشابة والغضة.

نفسه إذ إنّه هو الّذي يمثّل ويجسّد آباءه الماضيين الّذين صاروا عظاما نخرة بالية. وما يؤيّد ذلک أنّ الشخصية النرجسيّة في ظلّ ما قاله كوهت تفتقر إلى الاعتماد على أمجاده الماضية. انظر كيف يتحدّث شاعرنا في أجواء من الكبرياء والعظمة عن جدّه «حمدان» وأبيه «سعيد» وهما خير من يمشي على وجه الأرض في المكارم، والفضائل؛ حيث لا يضاهيهما ولا يسبقهما أحد في ذلک. فإذا بخلت السّماء بأمطارها وظلَم الدّهر النّاس، ظلّت حمدان تغدق عليهم وتؤويهم:

حَمْـدانُ جَـدِّي خَـيرُ مَـنْ وطِـئَ الثَّـرَى وأبي «سَـعِيْدٌ» فِي الْمَكَـارِمِ أَوْحَـدُ

يُعْطِـي إِذَا ضَـنَّ السَّـحَابُ تَكَرُّمـاً وَيُجِيْـرُ إِنْ جَـارَ الزَّمَـانُ الْأَنْكَـدُ

(الديوان، ١٩٩٤م: ٩١)

ممّا يسترعي الانتباه، أنّ أبافراس فضّل الأسرة الحمدانيّة الّتي ينتمي إليها على غيرها وهذا ينسجم مع ما أفاده كوهت في هذا السياق؛ حيث قال ما مغزاه ومفاده، «أنّ النرجسي يبحث عن الآباء المثاليين»:

لَـئِنْ خُلِـقَ الأَنَـامُ لِحِسْـوِ كَـأْسٍ وَمُسْـمِعَةٍ وَطُنْبُـورٍ وَعُـوْدِ

فَلَـمْ يُخْلَـقْ «بَنُـوْ حَمْـدَانَ» إِلاَّ لِمَجْـدٍ أَوْ لِحَمْـدٍ أَوْ لِجُـوْدِ

(المصدر نفسه: ١٠٨)

فبينما كانت همّة القبائل تقتصر على احتساء الشراب واستماع الموسيقى ومنادمة الجواري والغلمان كانت بنو حمدان تمضي قدماً نحو المحامد والأمجاد بخطى ثابتة، ومتأنية.

وفي مجال آخر؛ فضّل الشاعر نفسه، وأجداده على سائر النّاس معتزاً بمكانته الفريدة، والمرموقة، وآباءه الأكرمين باستخدامه أسلوب الاستفهام التقريري تأكيداً على أنّه لا شكّ في مجده ونفاسة جدوده:

لِمَـنِ الْجُـدُوْدُ الْأَكْرَمُـوْ نَ، مِـنَ الْـوَرَى، إِلاَّ لِيَـهْ؟

مَـنْ ذَا يُعَـدُّ كَمَـا أُعَـدُّ مِـنَ الْجُـدُوْدِ الْعَالِيَـهْ؟

مَـنْ ذَا يَقُـوْمُ لِغَـيْرِهِ بَـيْنَ الصُّـفُوفِ مَقَامِيَـهْ؟

(المصدر نفسه: ٣٥٣ و٣٥١)

أشاد بفضله، وعزّه، ومجده، وكرم محتده مشيراً إلى عجز الأعداء عن الإيقاع به، والنيل منه

منوّهاً إلى أنّه من أصل كريم، وأسرة نزيهة كابراً عن كابر:

أَنَـا الّـذِي لَايُصِـيْبُ الـدَّهْرُ عِتْرَتَـهُ وَلَا يَبِيْـتُ عَلَـى خَـوْفٍ مُجَـاوِرُهُ
فَكَيْـفَ تَنْتَصِـفُ الْأَعْـدَاءُ مِـنْ رِجُـلٍ أَلْعِـزُّ أَوَّلُـهُ وَالْمَجْـدُ آخِـرُهُ؟
زَاكِـي الْأُصُـولِ كَـرِيمُ الْمَنْبَعَتَـيْنِ وَمَـنْ زَكَـتْ أَوَائِلُـهُ طَابَـتْ أَوَاخِـرُهُ

(المصدر نفسه: ١٧٤)

لو أردنا أن تقصّي الأشعار التي بجّل الشاعر فيها ذاته وأجداده لطال بنا المقام ولكن النماذج الشعريّة التي أوردناها في هذا المجال تكفي في إثبات ما لدى أبي فراس من رغبة ملحة لتفضيل نفسه وأسرته على غيرها ربّما ليس من الممكن تفسير كلّ هذه الصرخات الاستعلائية في أشعار أبي فراس إلّا في ضوء الآراء النفسية التي تبرّر حرص الإنسان النرجسيّ على تفضيل نفسه، وآبائه على الآخرين، ونُجملها في: «تعظيم الذات والبحث عن المثالية في الآباء القدامى» (Reich, 1960: 215).

٣. تضخيم الشدائد والمحن

شكا أبوفراس بقلب منكسر، ونفس كئيبة من مجد تبخّر، وعظمة تلاشت، وكبرياء زالت؛ فنراه يبكي بكاء طفل فقدَ أمّه، ويئنّ أنين أسير داهمته الهموم، فيبدو وكأنّه ليس ذاك البطل المغوار الذي يصارع الشجعان، ويفتح البلاد، والأمصار. يشكو شاعرنا الداء العضال الذي أعجز الأطباء من علاجه، وهو داء الأسر الذي جرح مشاعره، وأثار همومه الدفينة، وجعل لياليه طويلة مرهقة يغمرها ظلام حالك تلمع نجومها، وكأنّها سيوف قاطعة صارمة:

مُصَـابي جَلِيـلٌ، وَالعَـزَاءُ جَمِيـلُ وَظَـنّي بِـأَنّ اللهَ سَـوْفَ يُـدِيلُ
جِـرَاحٌ، تَحَامَاهـا الأُسَـاةُ، مَخوفَـة وسـقمانِ: بـادٍ، منهمـا ودخيـلُ

وأسـرٌ أقاسـيهِ، وليـلٌ نجومـهُ أرَى كُـلّ شَـيْءٍ، غَـيرَهُنّ، يَـزُولُ
لَقِيـتُ نُجُـومَ الليـلِ وَهـيَ صَـوارِمٌ وَخُضْـتُ سَـوَادَ اللّيْـلِ، وَهْـوَ يَهُـولُ

(الديوان، ١٩٩٤ م: ٣٢٠)

ثمّة ملمح من ملامح النرجسيّة نستجليه من هذا النموذج الشعريّ، وما شابهه وهو أنّ الشّاعر

يميل إلى تفخيم ما يعانيه من المشاكل، والشدائد في أسر الرومان، وربّما يهدف وراء ذلک إلى التباهي، والاعتداد بالصبر، والتجلّد، والأناة. وفيما قاله كوهت في نظريته حول النرجسيّة خير دليل على ما رأيناه في أشعار أبي فراس من الإعجاب بنفسه، وآبائه؛ حيث خلص إلى القول: «أنّ الشخصية النرجسيّة مغرمة بالتركيز على الذات والاهتمام بكلّ ما يتعلق بنفسه بطريقة أو بأخرى ذلک لأنّ النرجسي بحاجة ماسّة لأن يكون موضع اهتمام الآخرين» (فينخل، ٢٠٠٦ م: ٢٠٠). من أجل ذلك، نستطيع القول إنّ أبا فراس كما يبدو من أشعاره حاول استقطاب اهتمام الناس وإثارة إعجابهم، واستحسانهم وذلک بتضخيم معاناته، وآلامه أثناء الأسر، والتعبير عن مشاعره الاستعلائية الناجمة عن إثبات الذات، وتفضيل نفسه على الآخرين.

٤. الشكوى من الحسّاد والوشاة

المتتبع في أشعار أبي فراس الحمداني يرى في مواضع كثيرة من أشعاره وخاصّة في رومياته أنّه يشكو الحسّاد الذين يحسدون مكانته الفذّة، ومنها:

وَلَمْ أَرَ مِثْلِي اليَوْمَ أَكْثَرَ حَاسِداً كَأَنَّ قُلُوْبَ النَّاسِ، لِي، قَلْبُ وَاحِدِ

أَ لَمْ يَرَ هَذَا الدّهرُ غَيْرِي فَاضِلاً وَلَمْ يَظْفَرِ الْحُسَّادُ قَبْلِي بِمَاجِدِ؟

(الديوان، ١٩٩٤ م: ٩٩)

يبدو جلياً من البيتين السابقين أنّ الشّاعر يأبى أن يكون ثمة من يفوقه أدباً، وثقافة، وشجاعة،كما يتّضح من استخدامه لأسلوب الاستفهام التقريريّ أنّه يعتبر نفسه أغلى شأناً وأسمى مكانةً مِن كلّ مَن يعيش تحت أديم السماء، إذن جدير به أن يكون موضع الحسد.

الفكرة التي تراود أبافراس هي أنّ الناس برمّتهم يحسدونه بقلوب مشحونة بالأحقاد، والظغائن، وبلغ الحزن، والاستياء بالشّاعر إلى حدّ أنّه يصبّ على الدهر كؤوسَ العتاب، والشكوى لما لقيه من حسد الحاسدين، وحقد الحاقدين. وجاء في كلمات كوهت ما يوضح لنا شغف أبي فراس للإكثار من الحديث حول الأعداء، والحسّاد، والوشاة؛ حيث أشار إلى حاجة الشخصية النرجسيّة للاهتمام بالذات، والتركيز على النفس، والمبالغة في المشاكل، والمحن. إذ يمكن القول بناءً على ذلک إنّ إحدى الطرق لجذب اهتمام الآخرين، أنّه يتحدّث بحماس شديد ونبرة عالية عن الأعداء، والحسّاد الذين يرمقونه بعيون مليئة بالحقد، والحسد.

إنّ تحمّل الشّاعر لما أصابه من المكاره ناجم عن قلّة أنصاره وكثرة خصومه وليس ناجماً عن خوفه وخشيته من الأعداء. حسبما نجده في البيتين التاليين إذ إنّه لا يليق بشاعرنا أن يترك للخوف إلى نفسه سبيلاً. وذلک مؤشر واضح على أنّ النرجسي يتحاشى كلّ ما يقلّل من شأنه ويحطّ من خطره وهو يتماشى مع ما قاله كوهت حول الشخصيات النرجسيّة من تعظيمها للذات وإعجابها بها:

إِذَا شِـئْتُ جَـاهَرْتُ الْعَـدُوَّ وَلَمْ أُبِـتْ أُقَلِّـبُ فِكْـرِي فِي وُجُـوْهِ الْمَكَائِـدِ

صَـبَرْتُ عَلَـى الْـلَّأْوَاءِ صَـبْرَ ابْـنِ حُـرَّةٍ كَثِـيْرِ الْعِـدَا فِيْهَـا قَلِيْـلِ الْمُسَـاعِدِ

(المصدر نفسه: ١٠٠)

أهوى الشّاعر على الدهر الخؤون كؤوس غضبه ولؤمه، فنراه ينحي باللائمة على الدّهر عبر الأبيات التي نشأت من أعماق نفسه المفعمة بالحقد للواقع المزري معبراً عن الحالة الشعورية المرهقة الّتي يعانيها، إلّا أنّ شاعرنا لا يركع أمام الدهر الكنود بل يواجهه بعزم لا يُقهر وإرادة لا تُكسر.

عَلِقَـت بَنَـاتُ الـدّهرِ تَطـرُقُ سَـاحَتِي لِمَـا فَضَـلتُ بَنيـهِ فِي حَالاتِـه

فَـالحَربُ تَـرمِينِي بِبِـيضِ رِجَالِهَـا والـدَّهرُ يَطـرُقُنِي بِسُـودِ بَنَاتِـه

(المصدر نفسه: ٧٤)

فقد ذمّ الشاعر وبلهجة يشوبها الاعتزاز بالنفس الرومان الصليبيين الذين وصفهم بـ"رجال الدّهر البيض" وذمّ الدّهر ونوائبه التي وصفها بـ"سود بناته" «كناية عن صروف الدهر وتقلباته الشديدة». وهكذا تخيل الشاعر نفسه بين مطرقة الرومان وسندان الدهر؛ ممّا يدّل على تفخيم الذات، واستعراض القوّة، والازدراء بالأعداء، وهذا أكبر سمة تتّسم بها شخصية الشاعر النرجسيّة وفقاً لما بيّنه كوهت في آرائه السيكولوجيّة التي أوردناها مراراً في ما سبق.

النتيجة

١. النرجسيّة، في رأي كوهت، عبارة عن الاهتمام الزائد والتركيز المفرط على الذات وسط الشعور بالزهو والخيلاء.

٢. تعود أسباب النرجسية إلى عوامل نفسيّة، وبيئيّة، ووراثيّة حسبما استفدناه من الآراء التي أدلى بها "هاينز كوهت"، من علماء النفس المعاصرين الذين اعتمدنا نظرياته في هذا المقال.

٣. تبلورت نرجسيّة أبي فراس متمثّلة في الاعتداد بالنفس، وبالآباء، وتفضيل الذات، وأجداده الحمدانيين على غيرهم. على غرار ما نستلهم من رؤية كوهت.

٤. يمكن اعتبار حالة النرجسيّة لدى الشاعر ردّة فعل نفسيّة إزاء ما عاناه من مشاعر مؤلمة ومؤذية إثر وقوعه في سجون الرومان وعدم احتفاء ابن عمه سيف الدولة به، حيث وجّه هذا الحادث بوصلة ميوله النفسيّة نحو إثبات الذات ويثبت ذلک ما أفاده كوهت بهذا الصدد حيث قال: «ثمّة عوامل مؤثرة تحوّل الرغبات النرجسية الكاملة في اللاوعية إلى أعمال وسلوكيات على أرض الواقع.»

٥. يرى كوهت أنّ الشعور بالعظمة والاستعلاء الناجم عن العوامل الوراثية والبيئية والنفسية هو مادّة دسمة وأرضية خصبة للإصابة بالنرجسيّة شريطة أن يواجه الإنسان النرجسي ما يلهب شرارة النرجسية في نفسه ويذكي فتيلها.

المصادر

العربية

ابن تغري، بردي (لاتأ)، **النجوم الزاهرة في ملوک مصر والقاهرة**، نسخة مصوّرة من طبعة دارالكتب، مصر.

ابن خلكان (١٩٧٨)، **وفيات الأعيان وأتباع أبناء الزّمان**، بيروت، دار علم اللّغة والأدب.

ابن عديم، عمر (١٣٧٠ق)، **زبدة الحلب من تأريخ الحلب**، تحقيق: سامي الدهان، دمشق، لانا.

ابن منظور (١٤٢٦)، **لسان العرب**، قم المقدسة، مؤسسة الصّادق للطّباعة والنشر.

البحيري، عبدالرّقيب أحمد (١٩٨٧)،**الشّخصيّة النّرجسيّة، ط١**، القاهرة، دارالمعارف.

البستاني، فؤاد أفرام (١٤٢٩ق-١٣٨٦ش)، **المجاني الحديثة**، قم المقدسة، انتشارات ذوي القربى.

الثعالبي النيسابوري، أبومنصور (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م)، **يتيمة الدهر**، تحقيق: مفيد محمّد، ط:١، بيروت، دارالكتب العلمية.

الحمداني، أبوفراس (١٤١٤هـ–١٩٩٤م)، **الديوان**، شرح الدكتور خليل الدويهي، الطبعة الثانيّة، بيروت، دارالكتاب العربي.

_____ (لاتأ)، أبوفراس الحمداني وشعره في الغدير، الجزء الأول، لامک، لانا.

خياط، يوسف (١٩٩١م)، **معجم المصطلحات العلمية والفنية**، قدّم له وحققه العلّامة الشّيخ عبدالله العلايلي، بيروت، دارالجيل.

الزركلي، خيرالدين (١٩٨٦م)، **الأعلام**، الطبع السابع، بيروت، دارالعلم للملايين.

الطهراني، الشيخ آغا بزرگ (١٤٠٣ق)، **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، الطبع الثالث، بيروت، دارالأضواء.

عتيق، عبدالعزيز (١٩٧٢م)، **في النقد الأدبي**، ط٢، بيروت، دارالنهضة العربية.

غرانبرغر، بيلا (٢٠٠٠م)، **النرجسيّة: دراسة نفسيّة**، ترجمة: وجيه أسعد، دمشق، منشورات وزارة الثقافة.

فينخل، أوتو (٢٠٠٦م)، **نظرية التحليل النفسي في العصاب**، ترجمة: صلاح مخيمر وعبده رزق، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريّة.

مبارک، زكي (لاتأ)، **موازنة بين الشعراء**، بيروت، دارالجيل.

الدوريات

البستاني، فؤاد افرام (١٩٢٨)، «أبو فراس الحمداني، الرّجل والشّاعر»، **نشرة المشرق نيسان**، العدد٤، السنة السادسة والعشرون، صص ٢٦٥-٢٧٤.

بحري، خداداد (١٣٩١ش)، «ملامح النّرجسيّة في فخر المتنّبي وحياته» **مجلة بحوث في اللّغة العربية وآدابها**، بجامعة إصفهان، العدد٦، ربيع وصيف، صص ٤٠ – ٢٧.

جودة، آمال عبدالقاهر (٢٠١٢م)، «النرجسيّة وعلاقتها بالعصابية لدى عينة من طلبة جامعة الأقصى»، **مجلة الجامعة الإسلاميّة للدراسات التربويّة والنفسيّة**، المجلة العشرون، العدد الثاني، يونيو، صص ٥٨٠ – ٥٤٩.

جودة، آمال وأبوجراد، حمدى (٢٠١٤م)، «عوامل الشخصيّة الخمسة الكبرى كمنبئات للنرجسيّة لدى عينة من طلبة جامعة القدس المفتوحة»، **مجلة جامعة القدس المفتوحة الأبحاث والدراسات التربويّة والنفسيّة**، المجلد الثاني، العدد السادس، نيسان.

المصادر الإنجليزية

Bursten, B. **A diagnostic Frame work.** Int. Rev. Psycho. Anal, 1978.
Kuhut. H. **the analisis of the self**. New York: International universities press. 1971.
Otto. F.Krenberg, **structural derivatives of object relationships**. International journal of psychoanalises, 1966.
Reich, A. **Pathologic Forms of self** – **esteem** regulation psychoanal study child, 1960.

بررسی روان‌شناختی ابراز وجود در شخصیت خودشیفتهٔ ابوفراس حمدانی و رومیات او
(با تکیه بر نظریات روان‌شناختی «هاینز کوهت»)

محمدحسن امرایی[1*]، جهانگیر امیری[2]

۱. دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه رازی

۲. دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه رازی

چکیده

خودشیفتگی عنوانی است که روان‌شناسان معاصر آن را برای پدیدهٔ روانی خاصی به کار می‌برند که در افراد به وجود می‌آید. هاینز کوهت روان‌شناس برجستهٔ معاصر آن را این‌گونه تعریف کرده‌است: «توجه و تمرکز بیش‌ازحد به خود همراه بااحساس غرور و افتخار و خودبینی». خودشیفتگی در دیدگاه کوهت دو ویژگی عمده دارد: ۱) خودستایی و نمایش قدرت، ۲) علاقهٔ بیش‌ازحد به برتری خویش و مباهات نمودن به پدران و دستاوردهای آنها. در همین راستا این پژوهش می‌کوشد تا پدیدهٔ خودشیفتگی را در شخصیت شاعر مشهور دورهٔ عباسی، ابوفراس حمدانی، با تکیه بر دیدگاه‌های «هاینز کوهت» و با استفاده از شیوهٔ توصیفی ـ تحلیلی بررسی نماید. نتایج تحقیق نشان می‌دهد، با توجه به نظریات کوهت در باب خودشیفتگی و با تأمل در اشعار «رومیات» ابو فراس می‌توان گفت وی به این پدیدهٔ روحی و روانی دچار بوده‌است.

کلیدواژه‌ها: خودشیفتگی؛ کوهت؛ ابوفراس حمدانی؛ خودستایی؛ احساس برتر بودن؛ فخرفروشی؛ رومیات.

*نویسندهٔ مسئول: amrayy77@yahoo.com